الطبيعة الصامتة معادلاً موضوعيًّا
دراسةً في شعرِ عبد الرزاق الربيعيّ

كوثر حميد صيهود محمد
أ. د. رائدة مهدي العامري

Still Life as an Objective Equivalent: A Study of the Poetry of Abdul Razzaq Al-Rubaie

Kawthar Hamid Sayhoud Muhammad
Prof. Dr. Raeda Mahdi Al-Amri

ملخص البحث

الطبيعة الصامتة معادلًا موضوعيًّا دراسةٌ في شعرِ عبد الرزاق الربيعيّ

تناول البحثُ الطبيعة الصامتة بوصفها معادلاً موضوعيًّا فـ(المعادل الموضوعي) مصطلح نقديٌّ أَخذ حيزًا كبيرًا وشاع استعماله ، فالمصطلح له تاريخ يرجع إلى مدرسة النقد (الانجلو أمريكية) المدرسة النقدية التي كان أبرز روادها (اليوت) حيث تعدُّ نظريته النقدية الأَساس في تشكيل المعادل الموضوعي. ففرض المصطلح نفسه على الساحة النقدية العربية الحديثة ، مما دفع الكثير إلى دراسته بشكل أوسع. فهو يعني ما يوظفه المبدع من الأحداث والموضوعات والوقائع ، دون اللجوء إلى تقرير مباشر لبعث الأحاسيس إلى المتلقي فيغدو وسيلة للتعبير عن الوجدان في الفن ، وتناولت هذه الدراسة مفهوم المعادل الموضوعي لغة واصطلاحا و تطبيقه على الشعر الحديث في شعر عبد الرزاق الربيعي إِذ لا يعبّر الكاتب عن آرائه تعبيراً مباشراً بل يخلق عملاً أدبياً في مقوماته الفنية. إِذ إِنَّ طبيعة الشعر تتكون من تفاعل الذّات والآخر. واتضح أنَّ الشّاعر يلجأ إلى توظيف المعادل الموضوعي بكتاباته وأشعاره للتعبير عن قضايا مختلفة (سياسية أ واجتماعية أ ودينية..) لا يستطيع التصريح بها بشكل مباشر خوفًا من أُمور عديدة فيقوم باستعمال (معادلٍ موضوعيٍّ) تناوله عبر توظيف أَلفاظ الطبيعة الصامتة ، فقد وظفه الشاعر ليعبر عن ذلك بأسلوب سلس جذّابٍ. ولجأ إلى الطبيعة في أغلب أشعاره متخذًا منها وسيلةً لطرح همومه ومشكلاته ، فالشاعر لا يلجأ إلى المعادل الموضوعيِّ من فراغ، بل هناك دوافع وعوامل تدفعه إِلى ذلك، وأهم العوامل التأثيرية التي تدفعه إلى توظيف المعادل الموضوعي هي (التأثير الاجتماعي ، والنفسي ، والديني) ، ومن قصائده (أحفاد قابيل) وفضلًا عن ذلك سجلتُ الخاتمة والمصادر والمراجع.

Abstract

The research dealt with still life as an objective equivalent. The (objective equivalent) is a critical term that has occupied a large space and its use has become widespread. The term has a history that goes back to the (Anglo-American) school of criticism, the most prominent pioneer of which was (Eliot), whose critical theory is considered the basis for forming the objective equivalent. The term imposed itself on the modern Arab critical arena, which prompted many to study it more broadly. It means what the creator employs of events, topics, and facts, without resorting to direct report to convey feelings to the recipient, thus becoming a means of expressing conscience in art.

This study dealt with the concept of the objective equivalent in language and terminology and its application to modern poetry in the poetry of Abdul Razzaq Al-Rubaie, as the writer does not express his opinions directly; rather he creates a literary work in its artistic components. Since the nature of poetry consists of the interaction of the self and the other, it became clear that the poet resorts to employing the objective equivalent in his writings and poems to express various issues (political, social, religious) that he cannot state directly for fear of many things, so he uses (an objective equivalent) that he addressed by employing the words of silent nature. The poet employed it to express that in a smooth and attractive style. He turned to nature in most of his poems, using it as a means to address his concerns and problems. A poet does not resort to objective equivalents out of nowhere; rather, there are motives and factors that drive him to do so. The most important influential factors that drive him to employ objective equivalents are social, psychological, and religious influence. Among his poems is "The Descendants of Cain." Keywords: objective equivalent, still life, self and other.

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله بما حمد به نفسه، والصلاة والسلام على رسولهِ الأَمينِ وخاتَم المرسلين الذي بعثه رحمةً للعالمين محمد واله الطيبين الطاهرين.

أَما بعد:

كان القرن الماضي محطة مهمة لولادة نظريات أَدبية نقدية حديثة، ومن تلك النظريات ولد (المعادل الموضوعي) بعد صراعات طويلة، لتشعب المناهج والمصطلحات في ذلك الوقت، ظل هذا المصطلح ينتابه الغموض والايهام لقلة الدراسات. والكل يفسره بحسب رغبته، إِذ لم يشهد هذا المصطلح اهتماما كبيرا إِلَّا بعد مدةٍ من ولادته. يعدُّ المعادل الموضوعي من أَهم معايير النقد الادبي الجديد، الذي شهدته الساحة الادبية في العصر الحديث من طريق ترجمة المصطلح، إِذ إِنَّه من المصطلحات المترجمة حديثًا. ويعدُّ الناقد الأَمريكي (ت-س. اليوت) هو أَول من تحدث عن المعادل الموضوعي بشكل صريح، قصد به أَن الأَديب عندما يريد التعبير عن رأي ما، فأنه لا يذكره مباشرة وإِنما يُضمِّن عمله الأَدبي من المقومات الفنية والموضوعية مما يجعل النص مقنعًا؛ أَي إِنَّ الأَديب يعمد للترميز عن شيء بشيء آخر. فالشاعر يتخذ (المعادل الموضوعي) رمزًا يختفي خلفه، لبث أَحاسيسه وهمومه بحرية أَكثر، ولاسيما نحن نعيش في عالم مقيد (الحرية). ومن هنا رأى (اليوت) أَنَّ الأَديب يلجأ الى المعادل الموضوعي للهروب من سيطرة أَحاسيس الشاعر على النص أَو قناعًا للتستر على الشخصية الحقيقية للمبدع. فهو مصطلح يشير إِلى الرمزية المستخدمة للتعبير عن مفاهيم مجردة كالعواطف. لذلك نجد الشعر الحديث ينتابه الغموض والايهام والرمزية. وبذلك يكون النص ذا مساحة واسعة للتأويل والقراءات المتعددة، خاصة عندما يمتزج المعادل الموضوعي بـ(الطبيعة الصامتة) متخذًا من تلك الطبيعة معادلًا موضوعيًّا له، ما وجدناه في أَغلب النصوص الشعرية لعبد الرزاق الربيعي، إِذ اتسمت نصوصه بالغموض والرمزية والتلميح قاصدًا من ورائها معاني

مضمرة صوَّر عبرها معاناته النفسية و باثًّا أَهم القضايا (اجتماعية، دينية، سياسية). وبهذا يكون عَلَمًا من أَعلام الشعر الحديث الذي استخدم الطبيعة بوصفها معادلًا موضوعيًّا. وبذلك يكون سلسلة لا متناهية تكشف ولو بشكل بسيط عن خبايا هذا المصطلح الذي يتسم بالغموض. كان هذا البحث جزءًا بسيطًا يخدم المكتبات الادبية العربية بما هو جديد.

الطبيعة الصامتة معادلًا موضوعيًّا دراسةً في شعر عبد الرزاق الربيعي

المعادل الموضوعي: يعد واحدًا من أَهمِّ المصطلحات النقدية التي قدمتها مدرسة النقد الجديد الأنجلو-أَمريكية، متمثلة في أحد أَبرز روادها الناقد الشاعر (ت-س- اليوت)، وهو الأَساس في نظرية اليوت النقدية، وأَهم مبادئ النظرية الجديدة والنقد الادبي الحديث في القرن العشرين [١].

فالمعادل الموضوعي ((قد فرض نفسه على ساحة النقد العربي الحديث، الامر الذي دفع الباحثين إِلى دراسته، لأَن هذه الموضوعات تثري النصوص الابداعية، وتستخرج الدلالات الخفية التي تكمن وراء الدلالة السطحية للتجارب الأَدبية))[٢].

المعادل الموضوعي في اللغة : جاء في لسان العرب في مادة (عدل) ما قام في النفوس أَنَّه مستقيم، وهو ضد الجور، عدل الحاكم في الحكم، ليعدل عدلًا، وهو عادل من قوم عدول، وعدل الاخيرة، اسم للجمع كتجر وشرب، وعدل عليه في القضية، فهو عادل وفي أَسماء الله سبحانه وتعالى : العدل وهو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم، وهو في الأَصل مصدر سمي به فوضع موضع العدل، وهو أَبلغ منه ؛ لأنه جعل المسمى نفسه عدلا، وفلان من أَهل المعدلة أَي من أَهل العدل. والعدل : الحكم بالحق. ورجل العدل بين العدل والعدالة : وصف بالمصدر، معناه ذو عدل، واعتدال الشعر اتزن واستقام. [٣]

وجاء في المعجم اللغوي ((عادل. معادلة. وعدلا (ع، د، ل) وازن ساوى بين الشيئين. والعدل جمع (اعدال)ضد الظلم، والعدل للمذكر والمؤنث والجمع والمفرد)) [٤].

أَمَّا لفظة موضوع فإِنَّها تشير في

دلالتها اللغوية إلى الاتفاق والائتلاف، قال صاحب اللسان: ((وضع الشيء وضعا. اختلافه. وتواضع القوم على الشيء، اتفقوا عليه، واوضعته في الامر اذ وافقته فيه على الشيء، والضعة خلاف الرفعة في القدر)) [٥].

والمعادل الموضوعي اصطلاحا: ((هو مصطلح مستمد من مقالة (ت- س - اليوت) بعنوان (هاملت ومشكلاته) صدرت عام ١٩١٩م، ويعني ما يوظفه المبدع من الأحداث، والموضوعات، والوقائع، والمواقف التي يمكن أن تبعث لدى القارئ الاستجابة العاطفية الملائمة التي يهدف اليها الموقف دون أن يلجأ إلى تقرير مباشر لهذه الاحاسيس.

وذلك انطلاقا من اعتقاد اليوت -خلافًا للرومانسيين- بأنَّ العمل الفنيَّ ليس تدفقًا تلقائيًّا للعواطف أو تعبيرًا مباشرًا عن شخصية الفنان أو تجربته، وإنَّما هو عملية خلق رائدها العقل الذي يجب أنْ يظلَّ محايدًا حتى النهاية)) [٦].

وفي النقد الحديث تباينت فيه وجهات النظر من ترجمته وبيان معناه، وكونه الجزء الأساس من آراء إليوت النقديَّة، وانتهى فيما بعد إلى كونه أداة نظرية، اعتمدت معيارًا للشعر، وجوهر المصطلح يشير إلى الطريقة الوحيدة للتعبير عن الانفعال في صورة فنية، هي العثور على معادل موضوعي [٧]. والفنان أو الشاعر المتميز هو الذي يعبر عن شخصيته الذاتية في القصيدة تعبيرًا غير مباشر، وتكون مهمة الشاعر خلق شيء موضوعي جديد بدلاً من الشاعر. فيعد وسيلة وحيدة للتعبير عن الوجدان في الفن. هي بإيجاز (معادل موضوعي) أو بعبارة أخرى بخلق جسم محدد أو موقف أو سلسلة من الأحداث تعادل الوجدان المعين الذي يُراد التعبير عنه [٨].

وأنَّ المعادل الموضوعي ((ترجمة لحالة سيكولوجية عاشها الكاتب لا يستطيع التعبير عنها مباشرة، ومن ذلك ما قالة الدكتور (علي البطل) المرأة في الغزل العذري معادل موضوعي بصورة الحرمان التي عاشها البدوي في باديته والتي افتقرت الى ادنى شروط التي يجب ان تتوفر لأنسان يعيش في مجتمع يهدف الى بناء حضارة بمستوياتها. فبدل ان يعبر عن

الحرمان عبر عن حبه للمرأة هروبا من الاحساس بهذا الحرمان وهذه الطريقة منفذ فني احترافي للهروب من المشاعر الحقيقية))[٩].

ومثال على ذلك أَيضًا ما فعله (توفيق الحكيم)، حيث قدم بحثًا لتجارب حياته الحميمية عن (معادل موضوعي) لينأى بتلك التجارب عن ضوء و أَنظار المواطنين، فقد عبر عن تجربة شخصية مر بها في حياته، بواسطة (معادل موضوعي) لهذه التجربة وقد خرج في النهاية من الأَزمة النفسية بالزواج عام ١٩٤٦م وهو على مشارف الكهولة[١٠].

وهذا ما قصده اليوت صاحب فكرة (المعادل الموضعي) أَن لا يعبر الكاتب عن آرائه تعبيرًا مباشرًا، بل يخلق عملًا ادبيًّا فيه مقوماته الفنية الداخلية التي تكفل – فنينا –تبرير الإِحساس و الأَفكار، للإِقناع بها. حيث إِن الصيغة الرياضية التي أضافها اليوت بتسميتها المعادل الموضوعي فقد سبقه اليها (ازرا باباوند) حيث يذكرُ أَنَّ الشعر نوع من الرياضة الملهمة التي نقف منها على معادلات، لا أَرقام مجردة أو مثلثات أو دوائر وما شابه ذلك، ولكنه معادلات لانفعالات إِنسانية[١١].

((وان استخدام المعادل الموضوعي للهروب من سيطرة احاسيس الشاعر على النص او قناعا للتستر على الشخصية الحقيقية للمبدع. فهو مصطلح نقدي يشير إلى الرمزية المستخدمة للتعبير عن مفاهيم مجردة كالعواطف))[١٢].

((وللقصيدة حياتها الخاصة وقوانينها ومبادئها الداخلية التي تنظمها، وعملية خلقها اكثر ما تشبه العملية الكيميائية او تماثلها حيث قيامها على التحويل، تحويل المواد الاصلية الى شيء جديد))[١٣].وعبر ذلك يتضح أَنَّ الشعر لا يعبر عن الفكرة فحسب بل عن معادلها الموضوعي. والصورة الفنية التي نحصل عليها وفق معيار المعادل الموضوعي هي التفاعل بين الحس والفكر[١٤].

و إِنَّ طبيعة الشعر تتكون من تفاعل الذات والموضوع، فالذات الطرف الاول منبع الفكر والعاطفة، والموضوع الطرف الثاني منابع الاحداث والاشياء والشاعر المبدع يتخذ لعناصر

ذاته العاطفية والفكرية معادلا من عناصر الاحداث والاشياء[١٥].

حيث تأتي أهميته بوصفه لعبة استبدال لغوية للتعبير المباشر في مادته الخام بموقف متكامل يعبر عن هذه العاطفة، وسلسلة مترابطة من التلميحات والتلويحات التي تسهم في تدفق الدلالة المرجوَّة وتحقيق الإثارة المبتغاة في المتلقي بطريقة غير مباشرة[١٦].

وعبر ذلك يتضح أنَّ الشاعر يلجأ إلى توظيف المعادل الموضوعي بكتاباته وأشعاره للتعبير عن قضايا مختلفة (سياسية، اجتماعية، دينية، ثقافية، عاطفية) لا يستطيع الشاعر التصريح بها بشكل مباشر خوفا من أُمور عديدة فيقوم باستخدام (رموز).

وقد وظف الشاعر عبد الرزاق الربيعي (المعادل الموضوعي) ؛ ليعبر عن ذلك بأسلوب سلس جذاب يجذب انتباه المتلقي؛ لما تمتع به شعره من ذائقة ادبية رومانسية، فالطبيعة تدل على الجمال والرومانسية والصفاء والهدوء، ولهذا نجده قد لجأ الى الطبيعة في أغلب أشعاره متخذًا منها وسيلة لطرح همومه ومشكلاته.

ولا يقتصر على (ذاته) وإنَّما عبر بوساطة هذه الطبيعة عن (العامة، الاخر) وقد عمد على توظيفها للكشف عن حقائق مختفية خلف النص الشعري معبرا عبرها عن خلجات نفسية مكبوتة.

فالشاعر الذي يلجأ الى (المعادل الموضوعي) لا يلجأ اليه من فراغ، وإنَّما هناك دوافع وعوامل تدفعه الى توظيف (المعادل الموضوعي في أشعاره، وهذا ما فعله عبد الرزاق الربيعي عندما وظف (الطبيعة الصامتة) في أشعاره ؛ ليبين الأَبعاد الفكرية والعاطفية المرتبطة بالتأمل في تلك الطبيعة بوصفها (معادلًا موضوعيًّا) ومدى تأثيره على الشاعر من جوانب مختلفة. فقد يكون التأثير (اجتماعي، ذاتي، ديني) وقبل أن نتطرق في الحديث، عن هذه التأثيرات يجب أن نعرف أنَّ

التأثير :مشتق من أثَرَ يؤثِرُ تأثيرًا فهو مُؤثّر، والمفعول هو ترك الأثر في الشيء. أو هو القدرة على إحداث تقييد في سلوك أو تفكير الآخرين[١٧].

ومن هنا يتضح مدى تأثير العوامل الاجتماعية والسياسية

والدينية والثقافية في شعر عبد الرزاق الربيعي متأثرًا بكل ما يحيط به منذ الطفولة. لأنها تمثل الأساس الذي بواسطته تتكون (الذات المبدعة)؛ أي شخصية الفرد ؛ لأَنَّ شاعرنا قد تأثر بهذه العوامل و استطاع أنْ يعبر عنها باحترافية أدبية مميزة باحرًا معها في أعماق المعاني مؤثرًا ومتأثرًا بها، تاركًا خلفه معاني كثيرة تحمل دلالات لغوية عميقة، مستخدمًا مفرداتٍ بسيطةً، بل هي من قلب الشاعر العربي العراقي مبتعدًا عن التكلف والتصنع ؛ بغية التأثير بأكبر عدد ممكن. ومن أهم العوامل التأثيرية :

١ – التأثير الاجتماعي.

٢– التأثير الديني.

٣– التأثير الذاتي.

أَولًا: التأثير الاجتماعي : يلعب العامل الاجتماعي أثرًا بارزًا ومهمًّا في استخدام المعادل الموضوعي، فالمجتمع قد يدعو الأديب إلى توظيف المعادل الموضوعي لطرح قضايا اجتماعية مهمة، خاصة عندما يجد الشاعر ظاهرة اجتماعية سلبية أو ايجابية، يحاول أن يعبر عنها في قالب شعري جميل.

والجاحظ يرى ((في الانسان كائنًا سياسيًّا لا ينفصل عن المجتمع، لا معنى له وحده ولا أثر، لاستمرار النسل، ولا للدفاع عن حياته أو صيانتها فالإنسان لا يصبو إلى الحياة الاجتماعية لحاجة مادية فقط بل أيضًا، في سبيل التبادل الذهني))[١٨].

وأن الأدب بوصفه تعبيرًا عن الفرد والمجتمع. وبالتالي يعكس علاقة الفرد بالمجتمع، حيث إنَّ ربط الأدب بالواقع الاجتماعي والثقافي له أبعاده المتعددة[١٩].

وبذلك يكون هناك تأثيرات اجتماعية تستدعي الاديب الى استخدام (المعادل الموضوعي) ليعرض القضايا الاجتماعية مستخدمًا رموزًا خفية، تحمل في طياتها معاني ودلالات كثيرة فانه لا يطرح هذه القضية أو المشكلة بشكل مباشر بل يصوغها في قالب شعري جميل وحيل فنية، يعبر عبرها عن رؤيته النقدية. واتجاهه الفكري حتى لا يعرض نفسه الى المسائلات، ويكون بعيدا عن الصدام مع المجتمع، وفي نفس الوقت يعرض هذه القضايا في شكل فني يجذب انتباه المتلقي،

فالشعر خير وسيلة لتعبير عن خلجات الشاعر النفسية والعاطفية، فيعمد الى توظيف المعادل الموضوعي ليعبر عن ما في نفسه من هموم واحزان بحرية كبيرة متخفيا تحت اساليب بلاغية قد تكون (رمز، قناع، معادل موضوعي، تناص).

وغيرها من الأساليب التي تتيح للشاعر التصريح عما يدور في داخله دون تردد أو خوف ففي قصيدة (أولادُ مسلم) إذ يقول :

"((الدهرُ خان))
تصايحَ الأَولادُ
من ضمأٍ
فأوصد سمعَه السجّان
((الدهرُ خان))
رُفعَ الستارُ
رأيتُ أَسلاكًا مكهربةً
فشدّ سلاسلَ الكلمات
في شفتيَّ" [٢٠].

نجد النص مكللًا بالعبارات الموحية و الدالة على الحزن الداخلي الذي ينتاب الشاعر، جراء الظلم والغربة الذي عاشه، فتشكلت لديه صراعات ذاتية طالما رافقته في مسيرته الطويلة، متخذًا من قصة (أولاد مسلم) رمزًا تَخفَّى خلفه للتعبير عن غربته وتنقله من بلد إلى بلد بحثًا عن الأمان والعيش الكريم، جسد من خلال (أولاد مسلم) قصة العراقيين الذين هاجروا إلى الخارج قائلا: ((إِنِّي استحضرت صورة أولاد مسلم بن عقيل عليهم السلام وهم مكبلون بالسلاسل ويدورون في الشوارع، شبهتهم بالعراقيين في المنافي يدورون بين السفارات ومكاتب منظمة الامم المتحدة، طالبين اللجوء))[٢١].

فكانت قصة (أولاد مسلم) ((معادل موضوعي أعني به نفسي أَولًا وأنا مقيد بالحدود والقوانين الجائرة الظالمة))[٢٢].

فكان حضور (الطبيعة الصامتة والمتحركة) بارزا يدل على معاناة الشاعر وغربته وقد بدأ قصيدته قائلا ((الدهر خان)) وقد وضعت بين قوسين لأنها مقتبسة من العبارة الشعرية الدارجة التي يرددها اولاد مسلم بن عقيل عليهم السلام في العاشر من محرم ((احنا أولاد مسلم والدهر خان.... فكنا من السجن بالله يا سجان))[٢٣].

فكان (الدهر) أولى محطات الشاعر متخذًا منه دلالة وقناعا تخفى خلفه، ليفصح عن عمره الذي ضاع وهو في الغربة والمه الذي عاشه وهو بعيد عن أهله ووطنه، مجسدا ذلك من عبر عباراته الدالة على ذلك (رأيت اسلاكا مكهربة، فسد سلاسل الكمات في شفتي)وكان حضور قصة أولاد مسلم الذين عانوا الظلم والجور، وتنقلهم من مكان إلى آخر، والذئاب تلاحقهم وهم أطفال لا ذنب لهم، كأنهم (غزلان) الكل يحاول اصطيادهم للفوز بمغانم دنيوية، ثم يثري قصيدته بأساليب بلاغية تجعل النص اكثر دلالة وتأثيرًا (ناحت الصحراء) مستخدما أسلوب التشخيص حيث أضاف صفة النوح الى الصحراء، أي بكائها ونحيبها.

فكان حضور (ذات الشاعر) بارزة في النص (والآخر) أيضا، تحت عبارة دالة على ذلك قائلًا :

"نحن أسرى
إذ تدورُ بليلنا
عجلات مطحنة الزمان
الدهر...
يا دهر الفجيعة
شلّ احرفنا وخان".

((فكأننا اليوم نحن العراقيين أحفاد الحضارات تحديدا في التسعينات صرنا مثل أولاد مسلم ونحن ندور بين السفارات نبحث عن اللجوء))[٢٤].

هكذا كانت الطبيعة لدى عبد الرزاق الربيعي معبرة عن حالته وغربته.

وعبد الرزاق الربيعي عمد الى توظيف المعادل الموضوعي وغيره من الأساليب، لطرح قضايا اجتماعية مهمة اخذت حيزا كبير في نصوصه الشعرية، تناولها بأسلوب ممتع جذاب سلس طالما عرف به، وهو شاعر كثيرا ما دافع عن الانسان والانسانية، وحاول جاهدا نقل مشاكل وهموم الشعب العراقي الذي عانى وما زال يعاني لنقل تلك المعاناة بلغة شعرية حوارية درامية مؤثرا في المتلقي عبر مفردات (الطبيعة الصامتة) التي كان لها حضور كبير في شعره على اوجه مختلفة،فطالما حملت في ثناياها معاني ودلالات ظاهرة ومضمرة، لم يستطع الانسان اكتشافها لأنها بحر من الاسرار.

تحدث الشاعر عن قضية مهمة

في قصيدة(طيور سبايكر) التي جسد فيها حجم الدمار والقتل الذي حلَّ على الشعب العراقي، فجسد تلك المأساة بصورة شعرية حوارية، لم يظهر فيها مقاصده بشكل مباشر، وانما عمد الى توظيف مجموعة من (الرموز والاضداد والاساليب) فالعنوان يحمل دلالات مبهمة حاول ايصالها الى المتلقي معتمدا على توظيف (الطبيعة الصامتة، والمتحركة) فالطيور هنا معادل موضوعي عبر بوساطتها عن هذه الحادثة الاليمة المفجعة التي ذهب ضحيتها شباب بعمر الورود، ليس لهم ذنب، ذنبهم الوحيد أنهم ينتمون الى (عراق علي والحسين)حيث كان أغلبهم من الجنوب ويحملون هويات مختلفة، فعبر الشاعر عن مشاعره المكبوتة من حزن والم ووجع فشبه هؤلاء الشباب بـ(الطيور) الذين لم يكن لهم أي ذنب.

فتجلى الحس الوطني الذي في داخله، فحلقت أرواحهم كما تحلق الطيور، ويواصل قائلا :

"ارواحٌ صغيرةٌ، فاضت عن الأرض
التي لاذت ببعضها
وكانت الحناجرُ محشوّةً بالتراب
والحفرة بحيرة دم".

نرى النص يزخر بألفاظ الطبيعة (أرواح، أرض، تراب، دم، بحيرة) فهي رموز تدلُّ على حجم الواقعة، وحجم تلك المجزرة فالأرواح كثيرة كناية عن العدد الهائل للشهداء الذين فارقوا الأرض وحلقت ارواحهم دون عودة مستخدمًا الفاظًا تدل على حجم هذه الكارثة عندما يتحول (التراب) الى بحيرة دم، فبحيرة الدم معادل موضوعي أشار فيه إلى ذلك العدد الكبير من الشهداء حيث كان عددهم يقارب ٢٠٠٠ شهيد ويزيد عن ذلك.

"سقط صندوقُ الاقتراع
سقطتْ طيورٌ
كانت تحلم بالطيرانِ
في سماء العراق".

يحمل النص رموزًا كثيرة دلت على عظم هذه المصيبة التي حلت على أرض الرافدين قائلًا (سقط صندوق الاقتراع) معادلً موضوعيًّا اشار به الى التغيير الذي كان ينتظره العراقيون، لحدوث انتخابات ديمقراطية وكان

هؤلاء الشباب أولى خطوات التحرر والتغير نحو الافضل، ولكنهم سقطوا مثل ما تسقط الطيور، وبذلك ضاعت الاحلام والامنيات والآمال، ويواصل نقل تلك المأساة والكارثة عندما وجدوا (أرواحهم مبعثرة وسط التراب) في كل مكان ليس لشيء سوى اختلاف (اللهجات والهويات).

لقد سطر الربيعي عبر ريشته السحرية معاناة شعبه وما عاناه من انتهاك وقتل ودمار، فالقتل أصبح على الهوية، مجسدًا الموت بطرق وصور مختلفة.

وكان التأثير الديني حاضرًا في هذا النص أَيضًا إِذ يقول :

"سمعوا في الظلمات ذا النون
يستغيثُ وسط المفخّخات
إِذ نادى
وهو مكظوم...".

وظَّف الشاعر (ذا النون) معادلًا موضوعيًّا عبر بوساطته عن نفسه وعن شهداء مجزرة سبايكر وعن حجم الظلام والضيق والمعاناة التي حلت بهم من قبل العصابات الارهابية التكفيرية، فهناك تشابه وتماثل بين قصة النبي يونس ﷺ عندما كان في بطن الحوت، وعانى ما عاناه من الم وضيق وظلم ووحدة، فأصبح يستغيث ويناي ربه حتى يفرج عنه ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٢٥]. هنا تناص واضح وظفه الشاعر، اذ انهم ايضا يستغيثون وهم وسط المفخخات، بقوله (ذا النون).

لم يكتفِ الشاعر بل واصل تصوير ذلك المشهد المأساوي بأسلوب شعري درامي(مستخدما فيه الموروث الديني والادبي والرموز وبعض الكلمات العامية) لتكون اكثر تأثيرا في المتلقي قائلا :

"في مقابرِ الوطنِ الجماعيّ
وثلاّجات الطب العدليّ...".

استخدم لفظة (مقابر جماعية) رمزًا أشار به إلى بشاعة و فظاعة الموقف، وعن كم المشاعر التي يحملها في داخله من حزن والم على ابناء وطنه وهم يموتون بالجملة. فالمعادل الموضوعي ((هو عبارة عن تقنية فنية، ووسيلة أسلوبية يستخدمها الكاتب

او الشاعر، لبث احاسيسه وكشف ما تنطوي عليه مشاعره))[٢٦].

فالمقابر هنا أَصبحت مقابر للأحلام والامنيات وليست مقابر للجثث فقط، فكانت تلك المقابر نهاية الأَحلام ونهاية كلَّ شيء و أَصبح كلُّ شيء جماعيًّا (الموت، الحزن، الدفن) والموت أَصبح لا يحتاج إِلى دفن أَو تغسيل أو كفن فهو لا يحتاج سوى حفرة و (الله أَكبر) متسترين خلف الدين و الإِسلام، فهم يقتلون و يكبرون (بسم الله) متخذين من الدين شعارهم الأساس؛ ذلك لأَن طيور (سبايكر) لم تُخلق إلا لسماء صافية تليق بأجنحتها فبلغت عرش الربِّ.. [٢٧].

و نجد أَنَّه استخدم لفظة (السماء) وجعلها معادلًا موضوعيًّا أَشار به إِلى تلك الأَرواح الطاهرة النقية، التي لم تخلق للقتل والتعذيب بل مكانها في تلك السماء الصافية محلقة بأجنحتها مثل الطيور.

وكان بروز العامل الديني واضحًا بلفظ الجلالة (رب) دلالة و إِيمانًا على أَنَّ الله هو الذي يحي ويميت وكل الأَرواح تصعد إِليه.

هكذا نقل الربيعي قضية أخرى من القضايا الاجتماعية التي كان لها أثر كبير على المجتمع العراقي قضية (التهجير) وترك الأَحلام و الذكريات، قضية عاشتها بعض المناطق العراقية وهم يتركون بيوتهم وحياتهم مجبرين خوفًا على حياتهم من القتل، فقد شهد العراق في يوم ١٧مايو ٢٠١٥م أَكبر نزوح على (جسر بزيبز)عبَّر بوساطة بعض الالفاظ عن حجم هذه المصيبة بأسلوب شعري جميل ذات تناغم موسيقي بما حملته من حزن وشجن ؛ إِذ يقول : على جسر (بزيبز):

"على جِسْرِ (بزيبز)
فتحتِ السماءُ ذراعيها للتيهِ
فسقطتِ الجنّةُ..."

تتجلى ذات الشاعر الحزينة وهو يرى الناس يتركون مواطنهم ويتجهون نحو المجهول بل قال ((يذكرني هذا الموقف بنفسي وأنا أترك وطني نحو المجهول))[٢٨].

فلفظة (جسر) تحمل معنى مضمرًا يدل على العبور والانتقال إلى حال أفضل، ولكن نجد هنا مفارقة واضحة، لأَنَّ الانتقال عبر ذلك الجسر

كان عبورًا نحو الأَسوأ إِلى حياة مجهولة مظلمة مشردة بالية، حيث كانوا يتوقعون الحصول على الأَمان ولكن حدث العكس.

نجده أَيضًا استخدم أُسلوب التشخيص ومنح السماء صفة غير صفتها (فتحت) وكانت (زفرات الأَفاعي) معادلًا موضوعيًّا أَشار به إِلى تنظيم داعش الإِرهابي، فكانوا مثل الأفعى تبث سمها القاتل أَينما ذهبت، ثم يواصل حديثه قائلا :

"وبلا ضجيج :

نزلت الأَميرةَ البابليّة من نعشِها

من نجوم آيلةٍ للسقوطِ".

يكثر الشاعر من استخدام الأَساطير في نصوصه الشعرية ليكسب النص جمالًا وتأثيرًا فـ(الاميرة البابلية) معادل موضوعي دلَّ به على المرأة البابلية المترفة وهي دلالة أسطورية تشير إِلى ثقافة البلد وعراقته الاصلية، لكن هذه الحضارة والمعالم سقطت بهدوء على يد تنظيم القاعدة وداعش، فكانت الطبيعة معبرة عن معاني ودلالات مبهمة فـ(النجوم) معادل موضوعي أَشار به إِلى المدن الزاهية المضيئة والتي أخذت تتساقط واحدة تلو الأخرى بيد تنظيم داعش الإِرهابي.

هكذا وظف الشاعر الطبيعة ووضعها ضمن سياقات كلامية جميلة لتكون رمزا وشاهدا على حجم المعاناة والمآسي التي عاشها الشعب العراقي (الريح، الليل، القمر، شجرة، الايام...) كلها ألفاظ تحمل معاني القلق وتقلب الحال (المواقد المهجورة والريح تعصف بالفراغ)، رمز دلَّ على الغربة واستلاب الهوية. ثم يقول (فَبَدَتْ أرضُ السوادِ أكثرُ حْمرَةً) معادل موضوعي دل علىَّ الزرع الوفير فالعراق تكثر فيه اشجار النخيل حتى سمي بـ(ارض السواد) دلالة على الخير ثم تحولت بعد ذلك الى ظلام وصحراء ودمار واصبحت اكثر حمرة دلالة على الحزن الذي أصابه، هكذا اصبح كل شيء يتساقط كما سقطت (ربابة جبار عكار وناي سعد الحديثي) فهي رموز تشير الى الفرح والسعادة في العزف على هذه الآلات الجميلة لكنها سقطت فجأة دلالة على الحزن الذي خيم على الناس فلا مكان

وحَين فتح جبّهته تساءَل:

"هل تكفي خيمةٌ
لتكونَ سماءً لائقةً لوطن؟"[٢٩].

هكذا خيم الظلام والسواد على المهجرين فكانت لفظة (ليل) دلالة على تلك الوحشة والوحدة في مخيمات اللاجئين وهم بلا مأوى في ليلٍ شديد الظلام، فيتساءل مستخدما أُسلوب الاستفهام (هل) تكفي خيمة متخذا من الخيمة معادلًا موضوعيًا يشير به إلى حالة اليأس والاضطهاد التي خيمت على المهاجرين وهم يعيشون حياةً قاسيةً صعبةً يفتقرون فيها الى ابسط مقومات الحياة، فهل هذا هو نصيبنا من الوطن؟

يواصل الشاعر سرد أَهم القضايا الاجتماعية التي حلت بالعراق أَيام الإِحتلال الامريكي الذي جاء ليحرر كما يزعم، والأَصل هو الاحتلال لا التحرير، هكذا نقل الربيعي عبر كلماته الشعرية أَبشع ما تعرضت له الإِنسانية ؛ إِذ يقول في قصيدة (تحت لحية حرب الشوارع في (وادي السلام):

"عندما تسمع دويّ الموت يا أَبي
وتشاهدُ الفناء الأَحمرَ يدنو منك
اغلق نافذةَ قبرِك جيّدًا
اغلق الهواء عليكَ
لا نريد للدخانِ أَن يلوّن بالسواد
رأيتكَ..." [٣٠].

جسد الشاعر مدى حبه وانتمائه وقلقه على وطنه حتى وإِن شاء القدر أَن يحصل على الجنسية العمانية، ولكن يبقى وطنه العراق هو الأَصل، فبروز الحزن والالم على ذات الشاعر واضحة عبر الفاظ الموت والقتل والخراب (الموت، الفناء، الدخان، الانفجار، القنابل...) فهي ألفاظ توحي بمدى الجراح في نفس الشاعر وهو يصور عبر مخيلته الواسعة هكذا مواقف محزنة فحتى الموتى لم يسلموا من الصراع والرصاص فكان (وادي السلام) معادلًا موضوعيًّا أَفصح عن حجم الفجيعة والانتهاك بحرمة الموتى فدارت هناك حربٌ طاحنة، كشفت عن مدى الخراب الذي طال حتى قبور الموتى، والنص يزخر بالأَلفاظ الحضارية والدينية المتمثلة بـ(حمورابي، نخيل اعراق، رأس الامام علي (عليه السلام))التي تفصح عن

حضارة هذا البلد وعراقته، فهي رموز واضحة المعالم فـ(حمورابي) سادس ملوك السلالة البابلية رمز للحضارة والاصالة و(النخيل) رمز للخير والقوة والصلابة والصمود و(راس الامام علي (عليه السلام)) رمز للهوية الدينية والقدسية الالهية التي ترفض الذل والخضوع وترفض الاحتلال بكل معانيه، هذا هو العراق رمز لمعالم لا تمحى و إِن حاولوا تدميره وطمس معالمه يبقى يحيى من جديد (أَمَّا لحومنا، فلا نخشى عليها، ستطلع لنا لحوما اخرى، ما دمنا على قيد العراق) فالشاعر وظف الانزياح هنا دلالة على قدرته في تغيير الصياغة المألوفة للغة.

وأَكثر من تكرار (لا الناهية الجازمة) التي عادةً ما تدخل على الفعل المخاطب، فيقول :(لا تقل انك شيوعي، لا تقل أَنَّك تحب العراق، لا تقل أَنك أَبي، لا تدافع، لا تجاهد) فهي ترمز إِلى أَنَّ المقصود شيء آخر وليس أنت (إِنهم لا يريدون راسه، إِنما يريدون راس العراق) فالمقصود هو العراق وهو ما جاءوا إِليه، ولكن سيبقى العراق صرخة مدوية، صامدًا، شامخًا. وما يطلقون عليه (حرية وتحرير) ما هي إِلا وهم وبدعة. فهذه الدول تحرم على الفرد ممارسة الظلم، لا لأنها تريد احتكاره، وتسمح لنفسها بممارسة كل ظلم، وكل عنف [٣١].

الشاعر مولع بالطبيعة لذلك يكثر منها في أَشعاره، دلالة على قدرته ومخيلته التي تضيف للنص أَصالة وقوة تأثير في المتلقي؛ لأنها من واقع الحياة ألفاظ دارجة الاستعمال (موت، هواء، سواد، نخيل..).

ثانيا: التأثير النفسي: يلجأ الشاعر أو الكاتب إِلى توظيف (المعادل الموضوعي) في أَشعاره وكتاباته، للتعبير عما يشعر به بصورة شعرية، بعدِّ (المعادل الموضوعي)وسيلة فنية للتعبير عن العاطفة بصورة شعرية.

وهناك علاقة بين الأَدب والنفس، فالنفس تصنع الأَدب والأَديب الواعي. هو الذي يتخذ إِنتاجه الأَدبيّ منهلًا يعبر فيه عن همومه ورغباته وعواطفه لإِيصال تجربته إِلى غيره حتى يعيش التجربة معه كل متلق، بطريقته وسعة خياله وعمق إِحساسه [٣٢].

((وبما أَنَّ النفس تصنع الأَدب، كذلك يصنع الأَدب النفس، والنفس تجمع أَطراف الحياة، لكي تصنع منها الأَدب، والأَدب يرتاد حقائق الحياة، ولكي يضيء جوانب النفس، والنفس التي تتلقى الحياة لتصنع الأَدب هي النفس التي تتلقى الأَدب لتصنع الحياة، إِنها دائرة لا يفترق طرفاها إِلَّا لكي يلتقيا، وإِنَّ العلاقة بين الأَدب و النفس ليست شيئًا مستكشفًا للإِنسان الحديث، لأنه علاقة منذ أَنْ عرف الإِنسان وسيلة للتعبير عن نفسه))[٣٣].

حيث كثيرًا ما ينتاب شاعرنا المعاصر نوعًا من الإِحساس بالغربة في هذا العالم ناشئ عن شعوره بما يسود عالمنا الحديث من زيف وتعقيد، فكان إِحساسه المزدوج بالغربة وبجفاف الحياة المعاصرة ونمطيتها وتعقيدها دفعهُ إِلى الهرب من هذا الواقع و نشدان عالم آخر أَكثر نظارة وبكارة، و أَكثر سذاجة وعفوية في الوقت نفسه[٣٤].

((وإِضافة إِلى ذلك أَيضا كان الشعراء يلجؤون إِلى التستر وراء الشخصيات التراثية هربًا من بطش القوى السياسية وأَجهزتها))[٣٥].

لهذا نرى الكثير من الشعراء قد لجؤوا إِلى استخدام بعض (الرموز، الشخصيات، والمعادلات الموضوعية) هربًا من كل ذلك، لأنه يعيش في مجتمع لا يستطيع أن يصرح بما يشعر به لأسباب مختلفة قد تكون (سياسية، اجتماعية، دينية، نفسية) لذلك نرى أَنَّ التأثير النفسي من أَهم العوامل التي دفعت الشاعر الى استخدام (المعادل الموضوعي) للتعبير عن خلجات نفسية مكبوتة قد مر بها في طفولته وأخرى مرَّ بها في مراحل مسيرته الحياتية، فلم يجد لتعبير عن ذلك دون (خجل أو خوف أو قيود) سوى استخدام (معادل موضوعي) ليكون رمزًا عن المعنى الحقيقي، تجنبًا من المسائلة.

((وهذا ما اشار إليه (يونك) فقال: إِنَّ كلمة (القناع) الذي نلبسه لمواجهة الادوار الاجتماعية والأعراف والتقاليد في المجتمع دون الالتفات الى شخصياتنا الحقيقية، وإِنَّ الاصطلاح من اللاتينية الذي استخدمه (يونك) للشخصية الزائفة، حيث يتخذها الفرد قناعا لإِخفاء حقيقته))[٣٦].

فكان التأثير النفسي من أَهم

العوامل التي تدفع الشاعر إلى توظيف (المعادل الموضوعي) وبروز الذات الشاعرة أمر طبيعي لدى عبد الرزاق الربيعي، فقد عاش مدة طويلة في الغربة، بلا وطن فكان الحنين والشوق يسيطران على مشاعره، كغيره من المغتربين.

ويواصل الشاعر مسيرته الشعرية، ذات التأثير النفسي، وهو بعيد خارج الوطن مع بقاء الروح هنا، فقد نقل لنا صراع نفسي تجسد داخله في قصيدة (أخطاء كولومبس الجديدة) إذ يقول:

"أولادُ أخي
يحفرون آبارَ السماءِ
أولاد أبناء ((العم سام))
يُمسكونَ الهواءَ من ياقتهِ
أولادُ أخي يرتجفون من البردِ
أولاد أبناء العم ((العم سام))
يتزحلقون على الجليدِ..."[٣٧].

تتحشد في هذا النص دلالات العنف والموت والاضطهاد والاعتداء على أبناء الوطن العربي (العراق) فيظهر الحزن والحسرة الداخلية، و ألم شديد على الوضع الذي وصل اليه العراق، وطغيان الشر والظلم على الخير والانسانية؛ بسبب الحروب والحصار والاحتلال.

فالنص عبارة عن مقارنة يجريها الشاعر بين (أَولاد أَخي، وأَولاد العم سام) كناية لليهود، الذين يعيشون في رخاء وترف وكل وسائل الحضارة المتطورة، وما ينعمون به اطفالهم.....، وبين أَطفال العراق المفتقدين إِلى ابسط الحقوق والحياة الكريمة، طفولة مسلوبة باسم (الحرية) حروب ومآسي وحصار، عاشها أطفال العراق، وهم يبحثون عن الدفئ و الأَمان بينما أَولاد (العم سام يتزحلقون على الجليد).

أَولاد يحلمون (برغيف الخبز والحصة التموينية) معادل موضوعي أَراد الشاعر عبر الإِفصاح عن حجم الفقر والحرمان الذي عاشه الشعب العراقي أَيام الحصار والاحتلال، فنفسية الشاعر مهمومةٌ يعتريها الوجع و الأَمل، والنص يزدحم بالانزياحات المعبرة عن نفسية الشاعر متأثرًا بذلك الواقع المرير (أولاد أَخي يحفرون آبار السماء، كي يبللوا شفاههم المزرقة بالضوء، أَولاد العم سام..)بأسلوب يكشف عن قساوة

الحياة،((فأنلكل عصر همومه ومشكلاته وقضاياه، والانسان مطالب في كل عصر بأن يواجه الحياة بما يلائمها))[٣٨].

فأصبح الواقع ((المبني على وفق الرؤية الاجتماعية والسياسية، التي تجثم على انفاس الناس وتقلق حياتهم بحالة من الضبابية))[٣٩].

هكذا رسم الربيعي تلك المفارقة بأسلوب شعري حزين وتوظيف رموز عديدة (هيتشكوك، سومر، اكد، اور..) و استحضار شخصية (كولومبس) وهو رحالة إيطالي اكتشف القارة الأَمريكية ((عن طريق الخطأ وثم توالت الأَخطاء))[٤٠] التي كانت سببًا في الحروب والاحتلال بقوتها العسكرية، فكانت أَصل الدمار والخراب في العالم، فالنص يزخر بالعبارات المحزنة التي دلت على الوجع الإِنساني (أولاد أبناء العم سام يصفقون للمشهد، ويأخذون صورة تذكارية للموت...).

فالشاعر عندما يستخدم كلمات مثل (السماء، الهواء، البرد، نخلة...)((فأنه يستخدم كلمات ذات دلالة رمزية، فالرمز الشعري مرتبط كلّ الارتباط بالتجربة الشعورية التي يعانيها الشاعر والتي تمنح الاشياء مغزى خاص))[٤١].

والنص يحتوي على صيغ الفعل المضارع (يحفرون، يبللون، يمسكون، يدخلونه، يرتجفون، يحلمون..)فأن للفعل المضارع دلالات زمنية متنوعة يكتسبها عبر السياقات والقرائن اللغوية الشعرية مستعملا، فالفعل المضارع يدل على الاستمرار والتجدد في موضوع النص وديمومته. فليس غريبًا أَن تتميز لغة الشعر المعاصر عن لغة الشعر القديم بل الغريب[٤٢]،من أَجل تجسيد المشهد العاطفي وتعميق التأثير في المتلقي بلغة ممزوجة بالحزن و الاسى والتمزق داخليًّا.

فلقد وجد الشاعر عبر معايشته للعراق، أنَّ كلّ شيء فيه باعث على الحزن ومؤد إِلى الإِحساس بالوحدة والضياع والغربة[٤٣].

وقد احتلت المرأة في شعر عبد الرزاق الربيعي مساحة واسعة، فهي محورٌ أَساس في بعض نصوصه الشعرية، فهي ملاذ يلجأ اليه الشاعر في احساسه بالتهميش والغربة والظلم

فكانت المرأة (الام الزوجة) هي الوطن وكان التأثير النفسي له فضاءات مختلفة فهي ((عنصر بارز من عناصر الخطاب الشعري)) [٤٤].

إذ يقول في قصيدة (خُذي رئتي):

"خُذي رئتي
وطُوفي بينَ أوردتي
ونامي في ثنايا الروحِ
واسترخي على شفتي
خُذي ضوِئي..."[٤٥].

فالشاعر عمد الى تكرار(خذي رئتي) (معادل موضوعي) جسد فيه معاني (الحب والتضحية) في سبيل محبوبته، وهي تصارع المرض فيقول: (خذي رئتي وطوفي بين أوردتي، ونامي في ثنايا الروح، فقد تعبت سفائن رحلتي، خذي ضوئي...) فهي تأكيد على مشاعره النبيلة فالمرأة في قصائد الحداثة لم تكن ((رمز للمتعة أو ملهاة يبتلي بها الرجل، بل كانت رمزا لكل ما هو جليل ومقدس، فهي رمز للأم أو الأخت حينا، وللأرض والثورة حينا آخر، وهي حينا ثالثا بحث عن الذات المفقودة أو المستترة))[٤٦].

وإنه يتكلم بلغة الذات مستخدمًا ياء المتكلم فيقول: (خذي، أوردتي، بدني، آخرتي، رئتي، محبرتي، قافيتي، صمتي...) التي عبرها حرك مشاعر وأحاسيس كامنة في الذات. فالشاعر هنا يعطينا درسًا في الوفاء والاخلاص لمحبوبته، فهو يضحي بحياته من اجلها، حيث مزج العاطفة والخيال والموسيقى لينتج لوحة شعرية بلغة سلسة تبين الصراع النفسي الذي يعيشه مع (ذاته) وكان حضور الفاظ الطبيعة التي ترمز الى دلالات ومعانٍ مضمرة (الروح و الهواء، الليل، الايام، الشمس...)اي(الموت في سبيلها) و(وكنا في مرابعنا، كعصفورين) فالعصفور معادل موضوعي عن الحياة السعيدة والسلام والهدوء الذي كانا يعيشان فيه، (محفوفين بالضحكات).

إلى أن (انطفأت، شموس البدء)فـ(انطفأت شموس (معادل موضوعي) حمل في طياته إشارة ((للموت)) الذي اكساه ثوب الحزن وصار كل شيء مظلم لأنها هي الشمس المضيئة في حياته هكذا (ابتدأت حرائق ليل اخرتي). وفق الشاعر في تصوير المشهد الحزين الذي

انتهى بـ(الموت)وبدأت معاناة والم جديد، تغلغلت في قلب الشاعر وتجدد المآسي والاحزان...

ثالثا: التاثير الديني: يعد التأثير الديني عاملًا فعالًا يدفع الشاعر إلى استخدامه لأغراض مختلفة، وكل شاعر يوظفه بحسب ما يراه أو يعتقد به.

وبذلك يعمد إلى توظيف المعادل الموضوعي في أشعاره أو كتاباته سواء كان من الكتب السماوية (القرآن، التوراة، الإنجيل) أو من الشخصيات الإسلامية والأحاديث الشريفة.

بوصف المعادل الموضوعي صورة فنية يلجأ إليها الشاعر للتعبير عن تجربته بصورة غير مباشرة، متخذا من الرموز الدينية وسيلة للتعبير عن ذلك، بسبب اقتناعهم بأن لغة الشعر يجب أن تبتعد قدر الإمكان عن الوضوح والتجديد، ويكون الرمز الديني هو الذي يضفي على لغته مسحة من العمق والشفافية والايحاء [٤٧].

وقد تبين لنا عبر الاطلاع على (الأَعمال الشعرية) لعبد الرزاق الربيعي أَنَّه نسج شعره على هامش مصادر ثقافية متنوعة، كالتراث والقران الكريم، وقصد به ما يمثل أَهم المشكلات في حياته، فضلًا عن التعبير عن رغباته وتطلعاته، وكان التأثير الديني واضحا وجليا في خطاباته وحمل العديد من الدلالات التي لم تخرج عن سياق ما مر به في حياته من مواقف سياسية واجتماعية ونفسية.

فالشاعر متأثر بالعادات والتقاليد و الأعراف الدينية التي تربى عليها؛ لأَن العلاقة بين الدين والشعر علاقة متبادلة فـ((الشعر بما له من مكانة قوية استطاع ان يخدم الدين في ظروف كثيرة. كما استطاع أَن يمد الشعر بموضوعات جليلة، و أَنْ يلونه في كثير من الأَحيان بالوان دينية مختلفة))[٤٨].

فالتأثير الديني واضح على الشاعر؛ حيث اتخذ من قصة النبي أيوب (عليه السلام) عنوان قصيدتِه التي حملت الكثير من الدلالات والمعاني، عبرت عن ذات مهمومة مفجوعة في قصيدة صعودًا إلى ((صبر أيّوب)):

"بيني و(أيّوب)
هذا الضبابُ الكثيفُ

الذي لفّ (إيتين)
هذه السماءُ الحنونةُ
إذا باغتتني بـ(ريسوت)..."[٤٩].

اتخذ من قصة النبي أيوب (عليه السلام) معادلًا موضوعيًّا جسد من ورائه ذاته المضطهدة بوصفه رمزًا يشير إلى الصبر وتحمل ألوان العذاب، فحاول من طريق خياله الواسع أَن يوصل رسالة مفتوحة الافاق شاهدًا على تحمل اضطهادات الحياة وقساوتها، عانى كثيرا في حياته فالشاعر صبر وتحمل، مثل النبي ايوب (عليه السلام) في مواجهه الغربة، المنفى، الفقر، الفقد، العنف من قبل السلطة، فكان استحضار شخصية النبي أيوب (عليه السلام) (تلميح) قصد به نفسه.

وقد ربط بينه وبين أيوب (عليه السلام) من حيث التحمل والصبر من طريق (الصلاة والدعاء) بوصفها الطريق الوحيد الذي يلجأ اليه الانسان عند اشتداد الظلم والمحن، معبرا عن (ذاته) المهمشة التي عانت وقاست الضياع والغربة خارج وطنه، ثم عاش فقدان السند والعزوة بوفاة (الاب، الام، الاخ، الزوجة...)((فقد ذكر انه عانى كثيرا برحيلهم واصبح منكسرا غارقا في بحار الوحدة والظلمة))[٥٠].

كلها أمور استدعت الشاعر الى الدعاء والصبر مثل النبي ايوب (عليه السلام) حيث جعل من قصته دافعا قويا لكي يتحمل ويصبر على (الفقد، الغربة، الوحدة...) وكان حضور (الطبيعة الصامتة) ذات الرموز المبهمة قويًا (الضباب، السماء، الريح، الظلام، غيم، ماء...) فهي تدل على تقلب الحياة واشتداد المحن عليه، لكنه رغم ذلك بقي صابرا كالجبل مثل أيوب(عليه السلام).

وكان حضور النص القرآني بارزًا في قوله تعالى ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[٥١].

فكان الربيعي يدعو ربه (أن يفرغ عليه صباحًا أَنيق الحواشي) بأن يمن على وطنه بالراحة والأَمان والحرية، فالشاعرُ محبٌّ لوطنه الأُم الذي تربى وترعرع فيه، على الرغم من بعد المسافة، فانتماؤه لوطنه لا تقيده

الحدود وأنْ ينعم الله عليه من فيض رحمته، متناصًا مع قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾[٥٢]، كناية عن عظم قدرته ونفوذه.

لم يكتفِ الشاعر بذلك، بل يواصل مسيرته الشعرية في نقل أهم الاضطهادات التي تعرض لها الشعب العراقي منذ زمن بعيد، ليذكر أَنَّ القتل والكره كان منذ خلق البشرية، موثقًا نصوصه الشعرية بالأدلة القرآنية بعدِّ القرآن وثيقة دستورية تاريخية لتكون قصيدة (أَحفاد قابيل) من اكثر الشواهد الدينية على ذلك. فقد عمد الربيعي إلى توظيف ألفاظ القران الكريم، لزخرفة نصوصه الشعرية بما يؤكد المعنى ويعمل على توضيح الفكرة، التي يراد إيصالها، بشكل متناسق منسجم اذ ان ((الصلة بين الدلالة القرآنية والدلالة الشعرية صلة قوية، فالشعر ديوان العرب، والقرآن الكريم نزل بلسان العرب))[٥٣].

فيقول في قصيدة (احفاد قابيل):

"جهتهُم الآخرة
وآخرتُهم حزامٌ ناسفٌ
جنّتُهم بساتين دم
وأشجارٌ بلا رؤوس
راياتُهم غربانٌ
وغربانُهم أشباحُ نساء
ذلك لأنّهم احفاد (قابيل)[٥٤]
و(بأندورا)..."[٥٥][٥٦].

فالعنوان يشير إلى شخصية معروفة بالتاريخ والقران الكريم فقد جاء متناصًا مع قوله تعالى ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[٥٧].

فعبر الآية اتَّضح ماقصده الشاعر بـ(احفاد قابيل) فـ(قابيل) معادل موضوعي رمز للظلم والجور والحقد وسفك الدماء وأَن الغاية التي من اجلها وظف الشاعر هذه الشخصية لكي يبين أَنَّ الشر موجود منذ القدم، لذلك وظفها الربيعي في هذا النص لنقل ظاهرة اجتماعية تمثلت اليوم بـ((الدواعش، تنظيم القاعدة، الميليشيات، المنظمات الارهابية، فأطلق عليهم احفاد قابيل))[٥٨] الذين توارثوا القتل والغدر. وظف الشاعر أَيضا شخصية أُسطورية (بأندورا) التي دلت

على أَن الشر متوارث في البشرية.

كما نلاحظ وجود مفارقة تدعو الى التعجب إذ يقول (جنتهم بساتين دم) فالجنة ترمز إلى النعيم والحياة الجميلة، أما جنتهم فهي عبارة عن بساتين من الدم ليس لها حدّ، كما استخدم لفظة (اشجار) ليرمز بها إلى(الإنسان) حيث كانوا يقتلون ويقطعون الرؤوس فتصبح جثة بلا راس، (أشجار بلا رؤوس) كأنما الشاعر يريد أن ينقل لنا مأساة حدثت قبل أكثر من الف وأربعمائة سنة، وهي واقعة الطف.

(رايتهم غربان) معادل موضوعي أراد عبره أن يتكلم عن دولتهم التكفيرية الوهمية المتخفية تحت غطاء الدين. مشبهًا سيوفهم والالتهم الحربية بـ(شجر من الزقوم) متناصًا مع قوله تعالى: ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾(٥٩).

فهي شجرة تنمو في جهنم مذاقها قاس جدا، طعام الكفار. ليس لديهم رحمة أو ضمير، فهم لا يعرفون شيئًا سوى القتل بـ(حزام ناسف).

فقد نقل عبر هذه الأَبيات القليلة حجم المأساة التي عاشها الشعب في مدةٍ مظلمة، وكان القتل فيها على الهوية (كلابهم تنبح على الهوية).

الخاتمة:

نتائج البحث:

في هذه الدراسة توصلنا إِلى مجموعة من النتائج وكان من أبرزها:

١- المعادل الموضوعي مصطلح نقدي مهم، كثيرًا ما شاع استخدامه في الشعر العربي الحديث، إذ أَصبح توظيفه من الأُمور الأَساسية في النص الأَدبي الحديث؛ لما فيه من دلالات ومعانٍ.

٢- إِنَّ بداية استخدام هذا المصطلح يعود الى مدرسة النقد (الانجلو-امريكية) ونظرية اليوت باكتشاف المعادل الموضوعي.ومدى تأثر الشعراء به.

٣- تبين لنا عبر هذه الدراسة عوامل عديدة، كانت السبب الاساس الذي لجأ اليه الشاعر في توظيف المعادل الموضوعي، متخذا منه (رمزًا و قناعًا) للتخفي وراءه.

٤- تبين أَن التأثير الاجتماعي كبير على أي شخصية أدبية تغوص في كتابة الشعر. لبيان مدى ثقافة الكاتب ومدى تأثير المجتمع عليه عبر كتاباته.

٥- التأثير النفسي عامل فعال في توظيف المعادل الموضوعي بما يخدم عواطفه ورغباته، دون التصريح بها بشكل مباشر، فهو خير وسيلة للهروب من العاطفة والتعبير عنها بمعادل موضوعي.

٦- تزخر نصوص الربيعي بالمعادل الموضوعي المأخوذ من القرآن الكريم؛ كونه ينتمي الى أرض عرفت بقدسيتها منذ زمن بعيد.

٧- كان للبيئة أثر كبير في توظيف المعادل الموضوعي لبث هموم وطنه والقضايا الاجتماعية والدينية، بقالب شعري جميل أَشبه ما يكون باللوحة الفنية.

الهوامش:

١- ينظر: المعادل الموضوعي في النقد الانجلو امريكي الجدد دراسة في المصطلح والموضوع والمفهوم والمرجعيات، احسن دواس، مجلة الاثر، جامعة الاخوة، الجزائر، العدد ٢٦، ٢٠١٦: ٤٧.

٢- المعادل الموضوعي في شعر زهران جبر دراسة نقدية تحليلية، محمد احمد عبد الرحمن، المجلة العلمية، كلية الدراسات الاسلامية والعربية، جامعة الازهر القاهرة، المجلد ٢٩، ٢٠٢٠م: ٤٠٦.

٣- ينظر: لسان العرب، مادة (عدل) ط٣، ج٩: ٨٣.

٤- الرائد معجم لغوي: ٥٣٣.

٥- ينظر لسان العرب، مادة (وضع) جزء ١٥: ٣٢٦.

٦- معجم مصطلحات الأدب، فاروق شوشة وآخرون، الجزء الأول، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ٢٠٠٧م: ١٤٦- ١٤٧.

٧- المعادل الموضوعي في مدائح ابي تمام، مجلة مجمع اللغة العربية، جزء ثاني، المجلد ٨٧، دمشق: ٤٧٨.

٨- ينظر: فن كتابة المسرحية، رشاد رشدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م: ١٢٢.

٩- المعادل الموضوعي مفاهيم وتطبيق، سميرة عمار الرباعي، كلية الآداب الجميل، جامعة سبراته، مجلة القرطاس، العدد٩، ٢٠٢٠م: ٢٥٦.

١٠- ينظر: الادب وفنونه، محمد منذور، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٥، ٢٠٠٦م: ٨٦- ٨٧.

١١- ينظر: النقد الادبي الحديث، محمد غنمي هلال ،دار نهضة مصر، ١٩٩٧م: ٣٠٦- ٣٠٧.

١٢- المعادل الموضوعي في شعرنا العربي بين الابداع والتقليد، حمدي فاروق صالح، المجلة العلمية، كلية التربية، العدد ٢٦، الجزء الاول، ٢٠٢١م: ١.

١٣- المعادل الموضوعي في مدائح ابي تمام: ٤٨٠.

١٤- ينظر: المعادل الموضوعي في

شعرنا العربي بين الابداع والتقليد :١.

١٥- ينظر: المصدر نفسه: ١٢.

١٦- ينظر: المصدر نفسه: ١٠.

١٧- ينظر: معجم المعاني للمترادفات والمتوارد والنقيض من اسماء وافعال وادوات وتعابير، بخير اسكندر، مطبعة الزمان بغداد، ط١ :١٢.

١٨- الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد، جميل جبر، دار صادر، بيروت :٨١.

١٩- مناهج النقد المعاصر، صلاح فضل، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط١ ،٢٠٠٢م: ٢٦.

٢٠- الاعمال الشعرية، الجزء الثاني: ٣٢٣.

-اولاد مسلم: هما محمد وابراهيم يقال: أسر طفلان من عسكر الامام الحسين (عليه السلام) فجي بهما الى عبيد الله بن زياد، فدعا سجانا له فقال: خذ هذين الغلامين اليك، فمن طيب الطعام فلا تطعمهما، ومن البارد فلا تسقهما، وضيق عليهما سجنهما. وقد استشهدا بعد سنه من استشهاد ابيهما. ينظر منتهى الآمال، عباس القمي: ٤٣٢.

٢١- اتصال مع الشاعر،٢١-٩-٢٠٢٣م.

٢٢- مقابلة شخصية مع الشاعر في، ١٤-١٢-٢٠٢٣م.

٢٣- الاعمال الشعرية، الجزء الثاني: ٣٢٥.

٢٤- اتصال مع الشاعر-٢٢-١٢-٢٠٢٣م.

٢٥- الانبياء، الآية، ٨٧.

٢٦- المعادل الموضوعي في شعر الدكتور زهران جبر، دراسة نقدية تحليلية:٤١٤.

٢٧- الاعمال الشعرية، الجزء الاول: ٣٧٩-٣٨٠-٣٨١-٣٨٢.

- جسر بزيبز: وهو جسر يربط بين محافظتي الانبار وبغداد اصبح شاهدا على اكبر نزوح جماعي بعد سيطرة داعش على الرمادي، الاعمال الشعرية، الجزء الاول :٣٨٧.

٢٨- اتصال مع الشاعر،١٩-١٠-٢٠٢٣م.

٢٩- الاعمال الشعرية، الجزء الاول:

٣٨٧- ٣٨٨- ٣٨٩- ٣٩٠- ٣٩١.

-وادي السلام: اكبر مقبرة في العالم تقع في النجف دارت بها معارك طاحنة في اغسطس٢٠٠٤. الاعمال الشعرية الجزء الاول :٤٠٨.

٣٠- الاعمال الشعرية، الجزء الاول: ٤٠٨.

٣١- افكار الازمنة الحرب والموت: ١٥.

٣٢- ينظر: الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري، احمد علي الفلاحي، دار غيداء، عمان، ط١، ٢٠٢٣م:١٢١.

٣٣- التفسير النفسي للأدب، عز الدين اسماعيل، مكتبة غريب، القاهرة، ط٤: ٥.

٣٤- ينظر: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي، علي عشرى زايد، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧م: ٤٢.

٣٥- استدعاء الشخصيات التراثية في العربي المعاصر : ١٣٨.

-القناع: هو تقنية مستحدثة في الشعر العربي المعاصر شاع استخدامه منذ ستينات القرن العشرين بتأثير الشعر الغربي وتقنياته المستحدثة، للتخفيف من حدة الغنائية والمباشرة في الشعر، وذلك للحديث عبر شخصية تراثية، عن تجربة معاصرة بضمير المتكلم وهكذا يندمج في القصيدة صوتان، صوت الشاعر، من خلال صوت الشخصية التي يعبر الشاعر من خلالها: قصيدة القناع في الشعر السوري المعاصر، محمد عزام، مجلة المعرفة، ع:٥٠٥، ٢٠٠٥م: ١٠٠.

٣٦- الشخصية في ضوء علم النفس، محمد محمود عبد الجبار، دار الحكمة، بغداد، ١٩٩٠م: ٣٨.

٣٧- الاعمال الشعرية الجزء الثاني: ٩١.

٣٨- الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره النفسية والمعنوية، عز الدين اسماعيل، دار الفكر، ط٣، :١٧٥.

٣٩- تحولات المدينة في الشعر العربي العراقي الحديث، عبد الله حبيب التميمي، دار الرائي للنشر، ط١،

٢٠١٠م:١٢٢.
٤٠- اتصال مع الشاعر،٢٨-١٢-٢٠٢٣م.
٤١- الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية :١٩٨.
٤٢- الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية: ١٧٤.
٤٣- لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقتها الابداعية، سعيد الورقى، دار المعارف، الاسكندرية، ط٢، ١٩٨٣م: ٣١٤.
٤٤- المرأة في قصيدة الومضة في ديوان (متاهات) لمحمد ابراهيم يعقوب، احلام بنت منصور الحميد القحطاني، مجلة كلية دار العلوم، جامعة الاميرة نورة بنت عبد الرحمن، ع:١٤٣، يناير، ٢٠٢٣م: ٦٨٩.
٤٥- الاعمال الشعرية،الجزء الاول: ١٢٧.
٤٦- تجليات صورة المرأة والنسق الثقافي في الشعر العراقي (١٨٧٥-١٩٤٥م)، جاسم حميد جواد الطائي، مجلة كلية التربية الاساسية، للعلوم التربوية والانسانية، جامعة بابل، ع:٤٣، نيسان، ٢٠١٩: ١٧٩٨.
٤٧- ينظر : الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، محمود ناصر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٦م : ٥٤٩.
٤٨- اثر القران في الشعر العربي الحديث، شلتاغ عبود شراد، دار المعرفة، دمشق، ط١، ١٩٨٧م : ٢٣.
٤٩- الاعمال الشعرية : الجزء الاول: ٤٧٢-٤٧٣.
-ريسوت: قلعة مبنية بنيانا على جبل والبحر محيط بها الا من جانب واحد، فمن اراد عمان فطريقه عليها، فان اراد ان يدخل دخل وان اراد جاز الطريق ولم يلو عليها، وبين الطريق التي يفرق اليها وبين الطريق المسلوك الى ضفار نحو ميل، وبها سكن من الازد وهي في منتصف الساحل ما بين عمان وعدن، معجم البلدان، شهاب الدين البغدادي، مجلد الثالث، دار صادر بيروت: ١١٢.
٥٠- اتصال مع الشاعر،٢٨-١٠-

٢٠٢٣م.

٥١- البقرة و الآية،٢٥٠.

٥٢- البقرة، الآية، ٢٥٥.

٥٣- الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى، حامد كاظم عباس، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٤م : ٣٥٨.

٥٤- قابيل: أحد ابني آدم، فأمرهما ان يقربا قربانا، فقرب هابيل جذعه سمينه وقرب هابيل حزمة من زرع ردئ زرعه، فنزلت نار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل، فغضب وقال لاقتلنك، فقال انما يتقبل الله من المتقين، وذات ليله ابطأ هابيل في الرعي، فبعث ادم اخاه قابيل لينظر ما ابطأ به فلما ذهب قال له تقبل منك ولم يتقبل مني فقال انما يتقبل الله من المتقين فغضب قابيل عندها وضربه بحديدة كانت معه فقتله .ينظر: قصص الانبياء، ابن كثير، تح : مصطفى عبد الواحد، الطالب الجامعي، مكة، ط٣، ١٩٨٨م: ٦٦- ٦٧.

٥٥- بأندورا: بحسب الاساطير الاغريقية تعد او امرأة على وجه الارض، خلقت بأمر من الاله (زيوس)، ومنحها العديد من المزايا، فقد البستها (اثينا) احسن الثياب المطرزة بالذهب والفضة، و(افروديتا) بعثت في جسدها انوثة صارخة، وربات البهجة والسرور اكسبنها ضلا خفيفا، وروحا مرحة، (هرميس) فمنحها الكذب اللذيذ، والخداع الحلو والصوت العذب، وبعد ما زينها بأبهى حلل، ارسلها زيوس الى الارض كهدية لـ(ابيميثيوس) الذي قرر ان يتزوجها، بالرغم من تحذير شقيقه (بروميثيوس) له بان لا يقبل هدايا من زيوس، وفي زواجهما قدم زيوس الهدية لـ(بأندورا) وطلب منها ان لا تفتحها، ولكنها لم تستطع ان تصمد وتقاوم فضولها، وفي النهاية قررت فتحها، لتعرف ما فيها ثم تغلقه، وهنا كانت المفاجئة، فالصندوق كان يحتوي على كل شرور وامراض العالم الموت، الحروب، الاوبئة، الكراهية، الجشع، حاول (ابيميثيوس) و(بأندورا) اغلاق

صندوق الهدية، ولكن الاوان قد فات وانتشرت الشرور بين البشر .ينظر، اساطير اغريقية، اساطير البشر، عبد المعطي شعراوي/ ١ :٨٩- ٩٠- ٩٣.

٥٦- الاعمال الشعرية و الجزء الاول : ٣٩٢- ٣٩٣.

٥٧- المائدة،الآية،٢٧.

٥٨- اتصال مع الشاعر،١٩-١٠-٢٠٢٣م.

٥٩- الصافات، الآية، ٦٢-٦٤- ٦٥.